عودة עַוְדָה
شهادات متخيلة من مستقبلات ممكنة
עדויות מדומיינות מעתידים אפשריים

عودة عَوْدَة

شَهَادَات مُتَخَيَّلَة من مُسْتَقْبَلَات مُمْكِنَة

עדויות מדומיינות מעתידים אפשריים

إضاءة مكان

يهودا شنهاف – شهرباني
عن العبريّة: الطيّب غنايم

نصّ **إضاءة مكان** هو مجموعة من مقاطع نثريّة كتبها أربعة أدباء فِلَسطينيين، قمت بترجمتها إلى العبريّة وإدماجها لتشكّل مزيجًا واحدًا. قمت باستعارة المقاطع من كِتاب سلمان ناطور **ذاكرة**؛ ومن قصّة للأطفال لتوفيق فيّاض **حيفا والنورس**؛ ومن قصّة سميرة عزّام **خبز الفداء**؛ ومن قصّة محمود الريماوي **الشوق إلى الأرض الطيّبة**.

جميع المقاطع تمّ إخراجها من سياقها الأصليّ. ألصقتُ فقْرةً بفقْرةٍ، قمتُ بالجمع بين راوٍ وراوية، ألصقتُ الترحيل بالعودة، خلطتُ الوقت بالوقت، المكان استَبْدِلَ بمكانٍ آخر. بين الفقْرات وفي المضمون قمتُ بإدماج مقاطع ارتباط تحت عُنوان **إضاءة مكان**. على غرارها، تُحيل كلّ فقْرة وفقْرة – على طول النصّ – إلى الأصل الذي أُخذت منه الفقْرة. لا ينطوي هذا على احترام الأصل فقط، وإنّما على التشديد على الاعتباطيّة، التعسّفيّة، والمفارقة التاريخيّة في عمليّة الرّتق.

إذًا، ما هو الخيط الّذي يرتق الحكاية؟ مِن المُغري القول إنّه: حيفا.

حيفا السفلى وحيفا العليا. لكن قبل أيّ شيء، هناك مسألة الزمن. ليس المقصود الزمن العاديّ وإنّما الزمن الذي توقّف. انتظار عقيم يستنفد نفسه. زمن دائريّ يبدأ فيه كلّ شيء من البداية. زمن تحوّل إلى مرجِع. زمن بلا تاريخ. أليس هذا هو صميم أسطورة العودة الأبديّة؟

بين حيفا الأمس وحيفا اليوم درج من حجر. الماضي من تحت والحاضر من فوق. بحرها يتراجع وقممها تفقد خضرتها يومًا بعد يوم. أصبحت مدينة شاحبة مشحونة بدخان المصانع وزعيق البواخر في الميناء.

يستيقظ مع طلوع الشمس.. يترك البيت.. ويمشي في شوارع حيفا: "ي.ل. بيرتس، هنفْيئيم، مندلي موخِر سُفَريم، أبراهام أڤينو، سارة إمّنو". أسماء لا تثبت على لسانه، وشوارع لا تثبت عليها قدماه..

يبحث عن مقعد في حديقة.. تتساقط خرزات المسبحة واحدة فوق الأخرى. يقلبها فترقص على أنامله.

منذ عودته، أكثر من التفكير في سوء حظّه. شعر بضيق كبير. في البداية كانت نشوة، ثمّ تبدّلت إلى خوف، بعدها إلى لا- مبالاة. في النّهاية أصيب باكتئاب لم يشعر بمثله من قبل.

حتّى في أيّام وَحدته الطويلة في بيروت، لم تواسِه حقيقة كونه من بين المئات القليلة، معظمهم من المسنّين، الّذين تمّ السماح لهم بالعودة إلى مدينة حيفا، مع العودة ضاع الحُلم. قضى معظم ساعاته في النوم، أو في الأفكار السوداء على مقعد في الحديقة العموميّة.

حتّى إنّه تفكّر كثيرًا في سوء حظّ صديقه، الشاعر الوطنيّ أبي سلمى. أمضى أبو سلمى معظم حياته في المنفى، يحلم بالعَودة إلى حيفا، كالكثيرين. أبو سلمى، أيضًا، لم يحظَ بتحقيق حلمه. توفّي في أمريكا ودُفن مع حلمه في دمشق.

أبو سلمى

التقيتُ أبا سلمى قبل ثلاثين عامًا في حيّ الأشرفيّة في بيروت. كان ذلك قبل بضعة أشهر من وفاته. أراني أبو سلمى مفتاح البيت في شارع البساتين. حمل المفتاح معه في كلّ مكان، بعد وفاته ورث ابنه سعيد المفتاح.

حدّثنا عن حيفا وبكينا. عرف أبو سلمى نسج الأساطير والادّثار بها. وجهه الذي ينضح بالمنفى أبدى اقتناعًا عميقًا.

ومن خلال تجاعيد وجهه تستطيع أن تعرف أنّ تاريخ نموّه تمامًا، مثل الحلقات على جذع شجرة الزيتون.. فالخط الأول الذي يمتدّ من أعلى حنكه حتّى طرف

حاجبيه يكوّن عام الثورة الأوّل.. وهو يشبه الشقّ السوريّ الإفريقيّ.. ومنه تكوّن البحر الميّت.. ونهر الأرمن.. والخط الثاني الذي تقوّس على أسفل جبهته تكوّن عام القحط.. والخط الثالث المتعرّج فوق الخط الثاني تبلور عام التشريد.. وهو يحتوي على عشرين "طعجة".. وأمّا الخط البارز وهو الذي يمتد من "النبع" الأيمن حتى "النبع" الأيسر.. ويختفي فوق الذقن.. فهو خط الاحتلال.. وليس من قبيل التهريج أن يصبح أبو محمد خارطة لتاريخ فِلَسطين.. فأبو محمد واحد كبقية أهل فِلَسطين.

مع مفتاح وديوان شعريّ

هذا الشاعر العجوز الذي ألقي إلى مصيره لم يتوقف عن الحُلم بالعودة إلى بيته. أجاد وصف البيت بتفاصيله الدقيقة، حجرًا حجرًا. تحدّث عن الدرج وعن غرفة ابنه سعيد وعن الحديقة.

تذكّر ذلك اليوم الأسود، عندما رأى عشرات السفن تحمل النّاس على متنها، وتجمهر أهل مدينته على السور وفي مِنطقة الميناء يستطلعون.

كانوا على علم بالمعارك التي تدور في حيفا. في حين ادّعت أنّها لن تتخلّى عن المدينة إلّا بعد انتهاء فترة الانتداب بشهور، ولكنّها، فَجأةً، أعلنت اضطرارها إلى إخلاء المدينة.وانصبّ الهول من الكرمل على العرب الذين يعيشون في السفوح. ومهّدت السلطة لحالة ذعر بحرب إشاعات فتحت معها الميناء، وأطلقت سفنها تحمل كلّ راغب في رحيل، فتكدّسوا فيها والنار تلفظ هولها عليهم من الجبل..

كانت مدافعهم تقصف المدينة من عمارة البرج، هرب اليهود إلى مِنطقة الهدار.. وظلّ العرب تحت القصف المركّز وصرير المدافع. وسمعوا نداءات تقول لهم: اِبقَوا في بيوتكم ولا تغادروا الوطن! لكن المدينة الحالمة أفزعتها "بومباية" (قنبلة) سقطت على المحطة، وأخرى على الساعة التي كانت "تشبه ساعة لندن"، وأخرى بهيئة برميل معبّأ بالبارود دحرجوه على الدرج النازل إلى وادي النسناس وأخرى.. وأخرى.. وأخذ جيش الهجاناه ينظّف الأحياء العربية من أهاليها. كان الإنـچليز يدخلون البيوت ويسألوننا: بعدكم قاعدين؟ اليهود راح يدبحوكم إزا بقيتم في بيوتكم! احملوا أغراضكم ويالله عالببور..

أبو سلمى بكى وهو يحكي، وبكينا نحن على بكائه.

وهالبحر صار يجيب ناس ويقذف ناس، "ولانشات" دار أبو زيد تحمل هالعرب.. لوين؟ لمينا عكا لوين؟ لمينا بيروت.. لوين؟ لمينا صيدا..

"خرجت مع مفتاح وقصائدي. وقعت قصائدي في البحر وظلّ المفتاح؛ لأنّني ربطته بخاصرتي"..

فكيف يكون المفتاح حين يحمله شاعر غادر البيت حاملًا مفتاحه وديوان شعر، وشُحن على ظهر قارب في البحر،"أقلع" به من حيفا إلى عكا، ثمّ إلى بيروت وإلى.. وإلى.. إلى أن التقينا في صوفيا.

في عام النكبة فُقدت عشرات ألوف المفاتيح، منها ما ظلّ في الأبواب المشرعة ومنها ما وقع على الطريق الوعرية أو في البحر، إذا لم يُربط بالخاصرة.

ولماذا يجمعها الناس وقد حُطّمت أبوابها أو أحرقت؟

صار المفتاح أغنية وأسطورة، ولماذا لا نحيك الأساطير حول مفاتيحنا الضائعة أو تلك التي ظلّت في الأبواب تنتظر عودة أهلها فأكلها الصدأ، وقد صدّقوا أنّهم عائدون بعد أيام، فتوالت الأيام والأسابيع والشهور والسنوات، وما عادوا.

في تلك الأعوام حلموا أحلامًا ونسجوا الأساطير، مثل أسطورة حيفا والنورس، جميعنا عرفناها، صغارنا وكبارنا، من الشام شِمالاً حتّى البحرين جنوبًا.

الأسطورة كتبها توفيق فيّاض، عندما قصّها معلّم العربيّة علينا، لم يقُل لنا شيئًا عن الكاتب، من جانبنا لم نسأل شيئًا، التقيته بعدها بأعوام طويلة في دمشق، مع إطلاق سراحه في صفقة الأسرى، عمل توفيق موظّفًا في الجمرك في ميناء حيفا قبل أن يُحكم عليه بالسجن والطّرد من إسرائيل بتهمة مسّ أمن الدولة، بعد الطرد تنقّل بين مصر ولبنان وسورية، عندما تحدّثنا عن توفيق، تدثّر أبو سلمى بالأسطورة وحكاها كلمة كلمة وعيناه تدمعان، دمعت عيناي، أيضًا.

حيفا بنت صغيرة سمراء، تعيش مع والديها في بيت من التنك على شاطئ البحر في بيروت، وحيفا لا تحبّ بيتها كثيرًا؛ لأنّه يصير حارًّا جدًّا جدًّا عندما تطلع الشمس في الصيف، وفي الشتاء يسيل الماء من شقوق السقف، وتكاد تقتلعه الرياح الباردة، لكنّ حيفا كانت، دائمًا، سعيدة؛ لأنّها تحبّ البحر كثيرًا، وتحبّ تلك الطيور الجميلة البيضاء، التي ترفرف في الفضاء دائمًا، وتحوم فوق قارب جدّها العجوز حين يذهب في البحر بعيدًا، وتدلّه على الشاطئ، وحيفا تحبّ جدّها كثيرًا؛ لأنّه يقول لكلّ الأطفال، دائمًا: "حيفا جميلة"، ويأخذها في القارب معه، ويجري فوق الموج، ذات يوم رأته يحمل الشّباك ويتّجه نحو القارب، سبقته وجلست في القارب كعادتها.

لكنّه أخذها بين ذراعيه هذه المرّة، وأنزلها ثمّ قال: "اليوم لا تذهبين معي يا حيفا".

قالت حيفا: "لماذا ياجدّي؟"

قال الجدّ: "لأنّي سأذهب بعيدًا جدًّا هذا اليوم."

وعندما صعد إلى القارب قال: "هناك حيفا ثانية خلف البحر جميلة مثلك، وتنتظرني دائمًا، حين أعود سوف أحدّثك عنها كثيرًا". ثمّ دفع القارب بيديه القويّتين إلى الماء، وراح يبتعد شيئًا فشيئًا، بينما وقفت حيفا على الشاطئ حزينة.

عندما اختفى القارب خلف الأمواج جلست حيفا على الرمل، وراحت تبكي.

سمع نورسٌ أبيضُ كان يرفرفُ فوق الموج بكاء حيفا من بعيد، أسرع الطائر إليها وراح يحوم حولها، ويصفّق بجناحيه.

"لماذا أنت حزينة هكذا يا حيفا؟" – قال الطائر وارتفع ثانية.

رفعت حيفا رأسها ونظرت إلى النورس وهي تمسح دمعها. وحين اقترب منها مرّةً أخرى قالت: "لأنّ جدّي يحبّ بنتًا غيري اسمها حيفا، وقد تركني وذهب إليها".

ضحك النورس كثيرًا، وصفّق بجناحيه فوق رأسها.

غضبت حيفا وقالت: "لماذا تسخر منّي أيّها النورس؟"

"لأنّ حيفا الأخرى ليست بنتًا يا حيفا، إنّها مدينة هناك، خلف البحر، جميلة مثلك، وأنا أحبّها، أيضًا."– أجاب النورس.

وقفت حيفا غاضبة وقالت: "إنّك تكذب أيّها النورس، إنّها بنت صغيرة ويحبّها جدّي أكثر منّي".

قال النورس: "أنا لا أكذب يا حيفا.. حيفا التي يحبّها جدّك هي المدينة التي وُلد فيها وترعرع عندما كان طفلًا مثلك، ولذلك سمّاك على اسمها؛ لأنّه يحبّك كثيرًا."

صفّق النورس بجناحيه عدّة مرّات فوق رأس حيفا، وارتفع في الفضاء. مدّت حيفا ذراعيها وقالت: "لا تتركني أيّها النورس، أريد أن أسألك سؤالًا آخر".

"أنا ذاهب كي أرى حيفا من فوق البحر مع جدّك، وعندما أعود سوف أحدّثك عنها كثيرًا"، قال الطير وابتعد.

ابتسمت حيفا، وراحت تلوّح للنورس بيديها الصغيرتين. وعندما اختفى خلف الموج، جلست حيفا على الرمل، وراحت تنتظر جدّها حتّى يعود.

وحين مالت الشمس إلى المغيب، وتعلّقت فوق البحر مثل برتقالة، كانت حيفا لا تزال تجلس على الشاطئ منتظرة جدّها، وحلم بحيفا الثانية.

كنتُ في العاشرة من عمري عندما سمعتُ الحكاية أوّل مرّة، واعتراني القلق. تساءلتُ ما كان مصير الجدّ المسنّ الذي أبحر في قارب صغير في قلب البحر الكبير. هل أخذ معه المفتاح؟ تساءلتُ، أيضًا، ما كان مصير الفتاة حيفا. هل ظلّت وحيدة على شاطئ بحر بيروت، تنتظر عودة النورس؟ عندما كبرنا قليلًا، شرح لنا معلّم اللغة العربية الفرق بين المشبّه والمشبّه به. قال أبو سلمى، شاعرنا الوطنيّ، في ذلك اللقاء، إنّها أسطورة حول أبديّة العودة. إنّ قوّة المشبّه به تكمن في أنّه يظلّ، دائمًا، مشبّهًا به. ماذا كان سيقول أبو سلمى عن هذه العودة المخجلة؟ فقدنا الوطن في المرّة الأولى، والآن، فقدناه مرّة ثانية. في البداية ضاعت فِلَسطين، ثمّ ضاع الحُلم.

البيت

حيفا لم تُمسح من خريطة هذا الوطن، لكن معالمها تتغيّر وتتبدّل، حيفا عتيقة وحيفا جديدة.. واحدة نعرفها نحن، وواحدة لا يعرفها إلّا أولئك الذين تمرّ في ذاكرتهم أيام البوابة الشرقية وسوق الشوام وبندر التجار والقشلي.

ذهبت إلى حنّا نقّارة، صديق أبي سلمى، وطلبت منه أن يأخذني إلى البيت..

وقْع خُطانا على السلّم الخشبيّ لم يوقظ أهل البيت..

انتظرنا أن يفتح أحد بابًا ويقول: تفضّلوا !

كنّا كمَن يتحرّك في كهف مهجور.

"هذه غرفة النوم"..

وضرب حنّا بكفّه على جدار اهتزّ هزّات خفيفة واختفى رجع الصدى. وفي عينيه علقت دمعتان.. إمّا السقوط على أرضية "الكوريدور" الخشبية وإما البقاء في عناق طويل مع الرموش الذابلة.

طرقنا الباب.. لم يُسمع صوت.

"ربّما هي مهجورة"

طرقنا مرّة أخرى.

"من هناك"؟

ردّت علينا امرأة كأنّنا أيقظناها من سُبات عميق.

لم نعرف كيف نعرّف عن أنفسنا، ولو عرّفنا لأثّرنا خوفها في مدينة عندما يطرق غريب وصل بلا موعد على أبواب منازلها. فإمّا أن يكون حراميًّا وإمّا أن يكون شرطيًّا، وكلاهما يثير أشدّ أحاسيس الخوف.

والآن. ظهرت مسألة اللّاجئين. لعلّه لاجئ يطرق الباب مطالِبًا ببيته.
أشباحٌ تحوم في البلدان. قالوا إنّهم سيبدأون بخمسين ألفًا في العام الأوّل.
لكن سرعان ما حلّت الفوضى في البلاد. أصحاب مفاتيح يجوبون الشوارع والسكّان ينغلقون على أنفسهم في بيوتهم. الشرطة تطوف في الطرقات باحثة عن عرب يخرقون قواعد العودة. هذا ما عرّفناه من الإشاعة. قلت لحنّا إنّ المسألة عبارة عن عملية غش كبيرة. إنّهم باعونا برخيص. انتشرت الإشاعات السيئة بين شفاعمرو. وسخنين. والبعنة. وحتى مخيّم جنين. وبيروت. وسورية والخليج.

فتحت السيّدة الباب. فَجأةً.
"سلام عليك أيّتها السيّدة"
وجوم..
"هل تسكنين هنا منذ زمن بعيد؟ منذ عام 1948؟"
عجوز في الستينيّات وقفت خلف بابها المشقوق وحدّقت بنا مرتبكة حيرى، ونحن ألقينا بنظراتنا إلى باطن الغرفة.
"أسكن هنا منذ عام 1949."
أشار حنّا إلى الغرفة الواسعة وقال. هذا هو الصالون.. كان يستقبلنا هنا..
وسألنا السيّدة:
"هل تعرفين من كان يسكن الدار قبل مجيئك؟"
فأجابت السيّدة:
"لا أعرف! عائلة بولونية.. قبلها سكنت عائلة ألمانية"..
قال حنّا نقّارة :
"هذا البيت لقريب لي توفّي قبل شهر..نزح عنه قبل 32 عامًا"..
سألت السيّدة:
"هل هو عربيّ؟"
امرأة عجوز قدمت من رومانيا عندما كان صاحب هذا البيت يحمل المفتاح وقصائده ويركب قاربًا أبحر به بمحاذاة الشاطئ من حيفا. إلى عكا. إلى طرابلس..
"هل تعلمين أنّ صاحب هذا البيت هوشاعر فِلَسطينيّ كبير توفّي قبل شهر؟
هل تعلمين أنّه ظلّ يحتفظ بمفتاح البيت على أمل العودة؟"

حرّكت رأسها كأنّها تقول:
مسكين هذا الشاعر!
ثمّ واصلت:
"البيت قديم وقد طلبت من البلدية أن تعطيني بيتًا آخر. ولكن لا يوجد فلوس.. أسكن في غرفة واحدة. هنا مطبخ وهنا حمّام وهنا غرفة مسدودة بالباطون.. سدّتها البلدية. إنّها تدلف. جدرانها مشقّقة وشبابيكها محطّمة"..
مدّ حنّا يده وصافح السيّدة العجوز.
الدمعة التي تراخت على الرموش الذابلة انقسمت وتساقطت على خدّه..
عدنا إلى السلّم الخشبيّ.. والكوريدور.. وخرجنا من المدخل.. هناك بيت فوزي بندر.. كان وكيل شركة تأمين.. وهذا بيت زكي التميمي.. وهذا لحسين عبدالصمد.. وهذا للدجاني وهذا للعنبتاوي. وهناك نصّار الفرمشاني.. وهذا بيت المحامي عيسى هزو..
هل حملوا مفاتيح بيوتهم التي بنيت من حجر. وما زالت قائمة حتى اليوم؟

الخيمة

عند شروق الشمس سافرت جنوبًا بسيارة حنّا نقّارة. سافرت لزيارة أبي العبد. صديق والدي منذ زمن الإنجليز. ما زال يجلس منذ شهور. ينتظر في المخيّم المعبر الذي أقاموه في خطّ التماس. كان المخيّم محاطًا بالشرطيّين والشرطيّات بالقلنسوات الخضراء. كان الحرّ لا يُطاق. في كلّ مكان كان خُفَّز. وحام الذباب فوق بقايا الطعام. لم يعرف أحد إلى أين سيقومون بتوزيعهم ومتى. معظمهم جلسوا في خيم مؤقتة. والقليلون ممّن كانوا سعيدي الحظّ حصلوا على بيوت متنقّلة قديمة. وعدت وكالة الغوث التابعة إلى الأمم المتحدة بإمدادهم بألف بيت متنقّل جديد في غضون ثلاثة أشهر. قالت الإشاعات أنّ اليابان اقترحت نموذجًا جديدًا لبيت رخيص ومن السهل بناؤه. الأخبار في الراديو لم تكن محدّثة. خطوتُ بين الخيم المكتظّة والمتّسخة باتجاه خيمة أبي العبد.

نزع أبو العبد كوفيّته وعقاله عن رأسه الأشيب. وألقى بهما بجانبه على البطانيّة المتّسخة. أطلق تنهيدة عميقة. فقد كان الحرّ لا يُطاق وليس بجرؤ على خلع ثياب الوكالة عن جسده النحيل؛ لأنّ الخيمة تفتقر إلى باب. وقُبالتهم بنات وحريم. فكّ أزرار حذائه الضخم وطوّح به إلى الزاوية. ثمّ مدّد رجليه بإعياء

بالغ. ووضع تحت رأسه معطفًا عتيقًا كوّمه كيفما اتّفق، واعتمد على راحة يده المتشقّقة الجافّة، في محاولة لا غنًى عنها للرّاحة من تعب الساعات العشر التي أنفقها في أعمال البناء في الجبل المجاور.

أمّ العبد كانت عند جيرانهم في الخيمة المجاورة، تتحدّث مع جاراتها عن انقطاع الماء الدائم، المغشوش، والعمر الذي مضى منه أكثر ممّا بقي. ابنته خديجة – قليلة الحظّ – تتعلّم في مشغل للخياطة. أمّا حسن، الشابّ اليافع ابن العشرين عامًا، فقد كان، وقتها، يشرب الشاي ويدخّن، وينتصر وينهزم في لعبة الورق.

عندما رآني أبو العبد، انتصب على قدميه الثقيلتين واحتضنني طويلا. يبدو على الرجل المسنّ أنّه عانى من مشقّات كثيرة. في الحرب الأولى أقام، صدفةً، في بيت دجن وطُرد مع باقي السكّان إلى مخيّم اللّاجئين النويعمة بالقرب من أريحا. في الحرب الثانية اجتُثّ من مخيّم اللّاجئين النويعمة إلى مخيّم الصويلح. هناك كان كلّ عالمه. الآن، نقلوهم إلى هذا المخيّم الغريب. ابنه عبد لم يأتِ معهم؛ فقد تمّ تعريفه كممنوع من العودة.

قال: يا عمّي، نقلونا من مخيّم إلى مخيّم. الخيمة المهترئة نفسها، الطعام العديم الطعم نفسه، والمياه العكرة. الانتظار الطويل نفسه، لكن بدون الجماعة وبدون عبد. طلب أبو العبد أن ينام طول الوقت. اضطجع في خيمته في المعبرة وفكّر في حيفا والنورس والجدّ المسنّ.

ذات مرّة، أيضًا، نحن حُملنا على ظهور الأحلام. ربّما من الأفضل أن نُدفن مع الحُلم. كان الكاتب توفيق فيّاض، ذات مرّة، سجينًا أمنيًّا، ولهذا كان "ممنوعًا من العودة". الشاعر الوطنيّ أبو سلمى مات. وجدّ حيفا؟ من يعلم؟ هل أخذ معه المفتاح؟ أبو سلمى قال لي إنّ قوّة المشبّه به تكمن في أنّه يظلّ، دائمًا، مشبّهًابه.

أشعلت أمّ العبد وابور الكاز، طلبت أن أساعدها في تعبئة أكوام الاستمارات التي كانت على الطاولة المتداعية. كانت الاستمارات باللغة العربية، لكن استعصى عليهم فهم محتواها. الحمد لله، لم يطلبوا مستندات أخرى، خمسة تواقيع شهود، فقط. خرجنا نبحث عنهم في شفاعمرو وسخنين والناصرة. لو أردنا أن نعثر على شهود آخرين، لكان علينا الوصول إلى بيروت، والعراق، والخليج. صناعة التواقيع ازدهرت. عجّت البلاد بوسطاء أذكياء ومحامين نشيطين. في مواقع الإنترنت بالعربية ظهرت قوائم الأشخاص وفق الأماكن.

ذهبنا إلى المكتب، شرحنا لهم معاني أسمائنا: العبلاني هو القادم من عبلين، الطمراوي هو القادم من طمرة، القباطي هو القادم من قباطيا، لكنّهم أصرّوا على خمسة شهود. قمت بتهدئة أبي العبد وأمّ العبد. تقول الإشاعة أنّ المسنّين لن تكون لديهم مشكلة، قد يسمحون لهم بالسكن في اللد أو الرملة.

عُدت أدراجي إلى الشّمال، في مداخل حيفا استقبلتني نسمات البحر ورائحة الملح، تذكّرت سعيد بطل كنفاني الذي عاد بسيارته الفيات الرمادية إلى حيفا، وفي مداخلها استمتع هو الآخر برائحة البحر.

مهداة بمحبّة إلى رواد خوري، غدي خوري، الذي سمعت منه، أوّل مرّة، عن حيفا والنورس. مهداة بمحبّة إلى حفيدتي إيلّه روم، التي طلبت منّي أن أحكي القصّة في حضانة الأطفال. مهداة بمحبّة، أيضًا، إلى كلٍّ من راز روم، إيناي إلياف، ومايكي چروس.